دوافع شعر الصبر وبواعثه في العصر العباسي

الباحث/ عبد الفتاح أحمد عبد العظيم إسماعيل

ملخص البحث :

تسعى هذه الدراسة للوقوف على دوافع شعر الصبر وبواعثه في العصر العباسي، حيث كان هذا العصر بمثابة أرضٍ خصبةٍ ، ومناخٍ ملائمٍ لنمو هذا الغرض الشعري ؛ وذلك لاشتماله على العديد من الأحداث والمواقف التي تولد عنها شعر الصبر ؛ حيث تعددت بواعث شعر الصبر وتنوعت دوافعه في العصر العباسي والتي تبخَّر عنها شعراً وفيراً معبراً عن الواقع المعيش، ما بين الدوافع الاقتصادية مثل : زيادة الأزمات المالية، وفرض ضرائب على الشعوب وتدهور الأوضاع وقلة الموارد،والاضطرار لسياسة الاقتراض، كل ذلك كان مدعاة لإفراز شعر الصبر؛ وذلك لأن الشعراء هم البوق المعبر في ذلك العصر كما كان هناك دوافع سياسية مثل : الظلم والاستبداد وزيادة الضرائب على العامة من الشعب وزيادة الفتن والثورات، واتباع سياسة التمييز وعدم المساواة بين العرب والعجم، وضعف الخلفاء وانقسام الدولة وزحف التتار كل ذلك أفرز العديد من أشعار الصبر الناتج عن تجارب شعرية للشعراء أو معبرين عن فئات المجتمع

وأما الدوافع الذاتية، فكان منها الوازع الديني أقوى بواعثه، في حين تصبر الشاعر على فراق أحبته أو فقدهم كما عبر الشاعر العباسي عن مشاعر الحنين عند غربته، وأما الدوافع الاجتماعية فكان منها : تنوع الحياة الاجتماعية ما بين خاصة وعامة وفقراء وأغنياء ونساك ولاهين، وامتزاج العرب بالأجناس الأخرى،وتفشي الانحلال الخلقي، وظهور الصراعات المذهبية كل هذه الدوافع كان لها صداها في انبعاث شعر الصبر .

ملخص البحث مترجم للغة الإنجليزية :

This study seeks to find out the motives for the poetry of patience and its motives in the Abbasid era, as this era was a fertile land, and a suitable climate for the growth of this poetic purpose.This is because it includes many events and situations from which the poetry of patience is born.Where the motives of the poetry of patience varied and its motives varied in the Abbasid era, which they dispensed with abundant poetry expressing the living reality, between economic motives such as: increasing financial crises, imposing taxes on peoples, deteriorating conditions, lack of resources, and having to borrow a policy, all of this was a reason for the production of poetry of patience; This is because poets are the expressive trumpet of that era، Such as: injustice and tyranny, an increase in taxes on the common people, an increase in strife and revolutions, a policy of discrimination and inequality between Arabs and non-Arabs, the weakness of the caliphs, the division of the state and the encroachment of the Tatars, all of which produced many poems of patience resulting from poetic experiences of poets or expressing groups of society.

As for intrinsic motives, religious motives were the strongest among them, while the poet was patient in parting from his loved ones or losing them, as the Abbasid poet expressed his feelings of nostalgia when he was away.As for social motives, it was among them: the diversity of social life between private and public, the poor, the rich, hermits, and the mixing of Arabs.In other races, the spread of moral decay, and the emergence of doctrinal conflicts, all these motives had an echo in the revival of the poetry of patience.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على الهادي البشير خير من صبر في سبيل نشر دعوته الجليلة، وخير من علم الأمة الصبر.

وبعد، إنَ الصبر خلق جميل من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الدين القويم، وامتدحها الناس عبر الأزمان، بل وتغنى بها الشعراء في حلهم وترحالهم عبر العصور، ومن هذه العصور وأكثرها إفرازاً لشعر الصبر بل كان مناخاً خصباً له العصر العباسي، الذي تميز بأسباب ودوافع قوية دفعت الشعراء يصدحون بالتغني بشعر الصبر على مدى المواقف التى مروا بها أو مرَّ بها غيرهم من الناس وقد عبروا عنهم وهذه المواقف تشكلت وتنوعت عبر العصر العباسي، وساعدت هذه الأسباب بل والدوافع التى تنوعت واختلفت على ازدهار شعر الصبر، ولذا فقد قسمت هذا البحث إلى أسباب ودوافع سياسية، وأسباب ودوافع اقتصادية، وأسباب ودوافع اجتماعية، وأسباب ودوافع ذاتية، وهذه الدوافع الذاتية منها : التأثر بالأخلاق والتربية الإسلامية، وفقدان الأحبة والأعزاء، الحب والوصال والبعد والهجران،والغربة والحنين للأهل والوطن، وقد تم إفراد الشواهد الشعرية لشعراء العصر العباسي لكل عنصر من هذه العناصر على حدة مع الشرح والتفصيل .

كلمات مفتاحية :

شعر / الصبر / دوافع / العصر / العباسي /

دوافع وأسباب وبواعث شعر الصبر في العصر العباسي ([1]):

- **البواعث السياسية:** من خلال دراسة الحياة السياسية في العصر العباسي وما بها من ظروف وأحداث فقد تبين أن هناك أسباب ودوافع قوية لتشكل وظهور شعر الصبر منها
- كان الخلفاء العباسيين يحرصون على إحاطتهم بالفخامة والكبرياء والجبروت، وبعدهم عن البساطة والقرب من الناس، وإحاطتهم بأنظمة معقدة كاتخاذهم الحرس والحجاب والوزراء.
- الاستبداد و الظلم وزيادة الضرائب والغلاء على العامة من الرعية، وإجبار الناس على الطاعة.
- زيادة الثورات والفتن على العباسيين نظرا لظلمهم واستبدادهم.
- محاولة تقليل النفقات في أجهزة الدولة وذلك بفصل بعض الموظفين المدنيين والعسكريين مما أدى الى ضعف الدولة العباسية.
- الاستعانة بالعنصر الأجنبي وخصوصا الفارسي في الوزارة كالبرامكة وبنو سهل وبنو وهب الذين ظلموا الرعية وكانوا يؤججون نار الشعوبية ضد العرب وزاد خطرهم على الدولة العباسية.
- كثرة اللهو والمجون والبزخ والترف وكثرة الجواري والغلمان بسبب الاختلاط بالعنصر الاجنبي وخصوصا الفارسي وذهاب الوازع الديني في مقابل الجوع والفقر وضيق أسباب الرزق.
- اتباع سياسة التمييز بين العرب والعجم مما أدى إلى ظهور الشعوبية، وإيقاظ العصبيات القبلية بين القيسية واليمنية.
- عدم المساواة بين العرب والعجم في الوظائف واحتكار المراكز العليا للأقرباء من الخلفاء.
- ضعف الخلفاء وانقسام الخلافة إلى دويلات على يد بعض الأمراء، والانتهاء بزحف التتار وسقوط الدولة العباسية.

١المزيد من التفصيل انظر:

-تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ط٢ ، ج١١ بتصرف .

-الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج٧، ٨، ٩، ١٠ بتصرف.

-تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف المرجع السابق من ٩ –١٣٧ بتصرف

- كل هذه كانت أسباباً ودوافع لتشكيل وظهور شعر الصبر في العصر العباسي.
- **البواعث الاقتصادية:** كذلك كما مر في الحياة الاقتصادية كان هناك أسباب ودوافع أدت لإفراز شعر الصبر في العصر العباسي نلخصها فيما يلي:
- زيادة الأزمات المالية وتتابعها مما اضطر العباسيين لإصدار قرارات لمعالجة هذه الأزمات بعيدة عن التشريع الإسلامي كفرض ضرائب غير شرعية وغير ذلك، مما زاد في تدهور الأوضاع فقلت الواردات وخلت بيوت المال وزاد التضخم، وكان ذلك من أهم عوامل ضياع مكانة الدولة العباسية وضعفها وبالتالي سقوطها ومن ثم كان انبعاث شعر الصبر.
- التدهور الكبير الذي حصل في العصر العباسي الثاني وما بعده نتيجة للتدخلات الأجنبية في شؤون الحكم ومن ثم تحكمها في مقدرات الدولة الاقتصادية اضطر الخلفاء إلى بيع أملاكهم الخاصة بل وحتى ملابسهم في بعض الأحيان، فقد باع المقتدر الأملاك العامة من الضياع والمستغلات التي كان قد اقطعها للناس، ونتيجة لاستمرار الأزمة المالية إلى عهد القاهر (٣٢٠ ــ ٣٢٢ هـ) فقد اضطر إلى بيع العديد من الضياع الخاصة وبعض الأملاك الأخرى، كما باع وزيره ابن مقلة أحد مقرات الوزارة وبعض الأملاك والضياع السلطانية لسداد مستحقات التجار من الديون، مما دعا الشعراء – وهم البوق الإعلامي واللسان المعبر عن الواقع– أن يعبر عن لسان الحال ويدعون الرعية إلى التمسك بالصبر
- سياسة الاقتراض التي أضعفت الدولة، فبعد بضع عقود من العصر العباسي توقفت الفتوحات وانفصلت بعض أقاليم الدولة، وخرجت السلطة الفعلية من أيدي الخلفاء كل ذلك أدى إلى حدوث عجز في ميزانية الدولة في بيت المال وبيت مال الخاصة بل حتى أموال الخليفة نفسه ذلك كان مدعاة للتصبر وانبعاث شعر الصبر.
- **البواعث الاجتماعية :** إنَّ من البديهي أنَّ المجتمعات تهتم قديماً وحديثاً دائما بغرس القيم الروحية في نفوس الأبناء ؛ لإيمانها بأن القيم الأخلاقية ذات علاقة بما يقرب الإنسان مما يؤمن به ومن ثم تسهم القيم الأخلاقية في بناء الشخصية كاملة، بوصفها كلاً لا يتجزأ جسداً ونفساً، عقلاً وعاطفةً، منهاجاً وعملاً، فتكون التصرفات في المواقف المختلفة تتفق مع تقاليد وأعراف المجتمع.

- ويعد الصبر من مميزات الإنسان العربي الذي يعتبر الأخلاق من أسس الحياة الإجتماعية، فالصبر يؤدي أكبر دور في الحياة الأخلاقية يدفع الإنسان إلى فعل الخير، ويكفه عن إتباع الشهوات والملذات.
- والصبر من الأسس الأخلاقية المرتبطة بالحياة الاجتماعية في العصر العباسي، وهو خلق يعطي الإنسان صلابة وشدة بهما يقدر الإنسان مواجهة الشدائد وصعوبات الحياة وهي كثيرة جداً مع بداية العصر العباسي الثاني خاصة.
- وفيما يلي يتحدث الباحث عن أهم الدوافع الاجتماعية التي دفعت بوجودها روح الصبر في الشاعر العباسي، وأثرت تأثيراً عميقاً في وجدانه إذ إنَّ هذه الدوافع والمؤثرات والأسباب مرتبطة بالأحداث التي أحاطت بالشاعر العباسي ؛ فمن خلال دراسة الحياة الاجتماعية كان هناك أسبابا قوية بعثت على إفراز شعر الصبر عند الشاعر العباسي منها :
- تنوع الحياة الاجتماعية إلى خاصة وعامة، وفقراء وأغنياء، ونساك ولاهين مجان وظهور العادات المخالفة لعادات المجتمع الإسلامي العربي، ولذلك كانت البلاد معرضة للفتن والثورات والصراعات بين التيارات المتناقضة، كما انتشرت فيها دعوات سرية كثيرة قادتها مجموعة أظهرت الإسلام وأبطنت غيره وراحت تلصق به ما ليس فيه من خرافات، وكان أن نشط جماعة من المسلمين لكشف أضاليلها للتميز بين الصحيح والفاسد.
- امتزاج الناس بين مختلف الأجناس من فرس وأتراك و نبط وروم وهنود وزنوج كان من نتائج ذلك أن تفشى الانحلال الخلقي وظهور العادات المخالفة للإسلام وعادات مجتمعه.
- الصراع بين المذاهب والأراء وبين العرب والعجم، وبين الزندقة والإيمان، وبين الجد واللهو، كل هذه الأسباب وغيرها كان لها صداها عند الشعراء مما ساعد على انبعاث شعر الصبر.

البواعث والأسباب الذاتية:

تؤثر الأحداث ومرورها في الإنسان تأثيراً كبيراً في حياته، ويتضح هذا التأثير في جوانب مختلفة مثل : السرور والحزن، والخوف والغضب، والصبر والجزع، والحب والكراهية، وما إلى ذلك من جوانب شخصية الفرد التي تدخل في الجانب الانفعالي

والعاطفي، ويعد الشاعر أرق الناس إحساسا وأكثر الناس سرعة في الاستجابه للمؤثرات والدوافع الشخصية والانفعالية، فالصبر يصدر من ذات الشخص بدوافع ومثيرات مختلفة تختلف معها قوة التجلد ومرتبة الصبر.

و سنعرض أهم المثيرات والدوافع الذاتية التي دفعت الشاعر العباسي متخذها منطلقاً له وهو يسجل أشعاره التي عبرت عن قوة تحمله وصبره.

أولا: التأثر بالأخلاق والتربية الإسلامية:

يعتبر الدين هو أقوى رادع خلقي يتحكم بسلوك الفرد، وذلك لأنه يمثل المحور الأساسي في الشخصية، وبخاصة المسلم حيث هذب الإسلام الشخصية العربية، وهذب سلوكياتها، و أفعالها وقد عملت التربية الإسلامية على التفرقة بين الحق والباطل والخير والشر، كما أكدت على تحمل مسؤولية العمل والكفاح

والعلاقة قوية للغاية بين الأدب والدين فالأدب والدين كلاهما إيمان ووجدان والوجدان أو الشعور في الدين إنما هو عبادة، أما في الأدب فيكون مجسداً للمثل وكلاهما شخصي يتضمنهما الإحساس والشعور.

وقد حمل الشاعر نفسه على مواجهة البلاء والشدائد متسلحاً بالصبر الذي وليس ذلك من فراغ وإنما ، ناتج عن وازع ديني وأخلاق إسلامية، فهذا الشاعر علي ابن الجهم يقول من (الكامل) [1] :

وَعاقِبَةُ الصَبرِ الجَميلِ جَميلَةٌ وَأَفضَلُ أَخلاقِ الرِجالِ التَفَضُّلُ
وَلا عارَ أَن زالَت عَنِ الحُرِّ نِعمَةٌ وَلَكِنَّ عاراً أَن يَزولَ التَجَمُّلُ
وَما المالُ إِلّا حَسرَةٌ إِن تَرَكتَهُ وَغُنمٌ إِذا قَدَّمتَهُ مُتَعَجَّلُ
وَلِلخَيرِ أَهلٌ يَسعَدونَ بِفِعلِهِ وَلِلناسِ أَحوالٌ بِهِم تَتَنَقَّلُ
وَلِلَّهِ فينا عِلمُ غَيبٍ وَإِنَّما يُوَفِّقُ مِنّا مَن يَشاءُ وَيَخذُلُ

في الأبيات السابقة يمضي الشاعر، وهو متسلح بسلاحِ الصبر ومكتسي بثوبِ الإيمان، متصف بالصبر الجميل، موقناً أن الله عز وجل هو علام الغيوب، وهو يدرك أن النفس الإنسانية عند وقوع ما تكره تكون مضطربة قلقة، لذا فهو يوضح أن عاقبة الصبر جميلة وأنها من أفضل أخلاق الرجال فلله في العباد علم مقدر يوفق هذا ويخذل ذاك.

---

[1] ديوان علي بن الجهم ، ط وزارة المعارف – المملكة العربية السعودية د– ت ، ص ١٦٣

وفي الأبيات تلفتنا عاطفة الشاعر الملتهبة التي اقترنت بمقدرة لغوية عالية ؛ فأثمرت تعبيراً دلالياً مؤثراً عبر ألفاظ لها دلالاتها، فألفاظ مثل (وعاقبة الصبر الجميل، وأخلاق الرجال، لله فينا، علم غيب، يوفق) تثير الوازع الديني مقروناً بروح الإيمان فتغدو المحنة منحة ومر الصبر كالشهد بتوفيق من الله

وكثيراً ما يتعرض الإنسان في رحلته في الحياة إلى مكاره وصعوبات ومحن ونكبات ولكنَّ الإسلام جعل الإنسان ينظر نظرة عميقة يدرك معها إن ابتلاءه في أمر من الأمور يكمن فيه الخير، وفي ثناياه بشرى خير حيث التطهر من الأثام والمعاصي، ومادام الابتلاء بعيداً عن الدين فكل ابتلاء هين ؛ فالإنسان يواجه المكاره ونفسه راضية، فلا حزن دائم ولا فرح يستمر، فسنة الكون تقوم على ثنائية أنّ بعد الضيق فرج، وهذا ما عبر عنه علي بن الجهم بقوله من (مجزوء الرمل) [1]:

مَن سَبَقَ السلوةَ بالصَبرِ فازَ بفَضلِ الحَمدِ وَالأَجرِ

يا عَجَباً من هَلِعٍ جازِعٍ يُصبِحُ بَينَ الذَمِّ وَالوزرِ

مُصيبَةُ الإنسانِ في دينِه أَعظَمُ من جائحَةِ الدَهرِ

أتى الشاعر بلفظة السلوة والصبر لتأكيد أهمية الصبر على الشدائد ؛ لأن الصبر من فضائل الأخلاق ولأن أجر ذلك عظيم، ويتعجب من جزع إنسان لما أصابه من شدة لأن ذلك يأتي بالوزر والعقاب، ولكي يرسخ القناعة بضرورة الصبر الجميل الضامن بإزالة الكرب والحزن، يبين أن أي مصيبة بعيدة عن عقيدة الإنسان ودينه تهون، أي أن راحة النفس من كل ضيق مرتكزة على قاعدة دينية راسخة ثبتها الرحمن في نفوسنا.

ويعزز الإمام الشافعي في شعره أهمية الصبر وأنه إن كان صعباً على الإنسان بعد أحبائه فإنه يجب تقبل ذلك لأن ذلك أمر الله وما شاء فعل، فيقول من (الوافر): [2]

أُفَكِّر فِي نَوَى إِلْفِي وَصَبْرِي وَأَحْمَدُ هِمَّتِي وَأَذُمُّ دَهْرِي

وَمَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبٍ وَلَكِنْ لِرَبِّ النَّاسِ أَمْرٌ فَوْقَ أَمْرِي

وبينما كان الشعر أقوى أساليب البيان تعبيراً وتأثيراً في المتلقي، وأكثر بقاءً وأثراً في النفس العربية لذا نجد الشاعر العباسي قد اتخذه وسيلة لتوصيل دعوته إلى المجتمع بضرورة التمسك بالصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها، وضرورة الزهد فيها ، فينشر في

---

١ ٩٧ نفسه ، ص

٢ديوان محمد بن أدريس الشافعي ، تحقيق محمد ابراهيم سليم ، الناشر ابن سينا–القاهرة ت–د ص ٨٠

أبياته مشاعر يتفاعل معها كل من يقرأ الأبيات بتأني، ولا يقتصر على قراءة الأبيات قراءة عابرة بل يتخطى ذلك إلى معايشة ما وهبته اللغة من دلالات وصور وذلك ما هدف إليه الشاعر أبو العتاهية بقوله من (بحر البسيط): [1]

يا نَفْسِ ! ما هوَ إلاّ صَبرُ أيّامِ كأنّ لَذّاتِهَا أضغاثُ أحلامِ
يا نَفسِ ! ما ليَ لا أنْفَكّ مِنْ طمعٍ طرفِي عليهِ سريعٌ طامحٌ سامِ
يا نَفْسِ ! كوني، عن الدّنيا، مُبعَّدةً وَخَلِّفيها، فإنّ الخيرَ قُدّامي
يا نَفْسِ ! ما الذُّخرُ إلاّ ما انتَفَعتِ به بالقَبرِ، يَوْمَ يكونُ الدّفنُ إكرامي
وَللزّمانِ وَعيدٌ في تَصَرّفِهِ، إنَّ الزمانَ لذو نَقْضٍ وإبرامِ

أراد أبو العتاهية تقوية الجانب الديني في أعماق القلوب والأرواح التي أنهكتها المعاصي والآثام وأوجعتها مصائب الزمان، فبدأ بمخاطبة النفس، منبهاً لها إلى ما هي عليه من غفلة لذا يبدأ البيت بالنداء ثم استطرد في تكرار ندائها وحثها على عدم الطمع وضرورة البعد عن الدنيا الفانية ؛ لأنها إلى زوال.

وإحساس أبو العتاهية العالي قادر على رؤية الحقائق بعين البصيرة، ورؤيته المتفحصة ومن ثم تحويلها في الذهن إلى نمط بديع، يؤثر في المتلقي تأثير الزاهد المعتبر.

ومما سبق عرضه من نصوص شعرية نجد أن التأثير الديني حينما يكون مثيراً في الشعر فإن الشاعر في الأبيات يتجه إلى تزكية القلب وتطهير النفس وتهذيب الروح، وقد حرص الشاعر العباسي على امتثاله لقيمة الصبر التزاماً به مرةً، ودعوة إليه نصحاً وإرشادا مرةً أخرى متخذاً منه طريقاً للتقرب لله عز وجل، ودرباً يسعى من خلاله لتنمية وجدان المجتمع وتهذيبه ومحاولة إعلاء الصفات الإيجابية وتمجيدها.

ثانياً : فُقدَان الأحبة والأعزاء:

تختلف أراء الإنسان ومواقفه تجاه مصيبة الموت ؛ وذلك لاختلاف الطبيعة الإنسانية نفسها، وتباين الظروف المحيطة بفقد من نحب، ويبقى آلام وأوجاع موت من أحببنا جرحاً عميقاً في النفس نلجأ فيه للصبر الذي هو طبيب النفوس ، وفي هذا يقول ابن الزيات من (الرمل) [2]:

١ديوان أبو العتاهية ،(مجموعة ديوان العرب) ،تقديم كرم البستاني ، الناشر دار بيروت – بيروت لبنان ،ط ١٩٨٦ /٣٩١

٢ديوان محمد بن عبد الملك الزيات ، تحقيق د. جميل سعيد ، الناشر المجمع الثقافي أبو ظبي – الأمارات ، ط ١٩٩٠/٢٣٥.

اصبِر النَّفسَ عَلى مُرِّ الحَزَن وَإذا عزَّكَ مَن تَهوى فَهُن

يستخدم الشاعر أسلوب الأمر ليحث من فقد الأحبة على التحلي بالصبر .أما من أخبر متلقيه بصيغة تقريرية عن أهمية الصبر وضرورة التحلي به، فيقول ابن الرومي من (الطويل) خير ما قيل في الصبر على الشدائد ونكائب الأيام وصروف الدهر [1]:

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهبُ فكيف إذا ما لم يكن عنهُ مذهبُ
هناك يَحِقُ الصبرُ والصبرُ واجب وما كان منه كالضرورة أوجبُ
فشدَّ امرؤٌ بالصبر كفاً فإنهُ له عِصمةٌ أسبابُها لا تُقضَّبُ
هو المَهْربُ المُنجِي لمن أحدَقتْ بهِ مكارهُ دهرٍ ليس منهن مَهْربُ
وساعَدَهَا الصبرُ الجميلُ فأقبلتْ إليها له طوعاً جَنَائبُ تجنَبُ
وإنْ هو منَّاها الأباطيلَ لم تزل تُقاتل بالعَتْبِ القضاءَ وتُغلَبُ
فَتُضحي جزوعاً إن أصابتْ مصيبة وتُمسي هلوعاً إن تَعذَّرَ مَطلبُ
فلا يَعذِرَنَّ التاركُ الصبرَ نفسَهُ بأن قيلَ إنَّ الصبرَ لا يُتكسَّبُ

وفيما سبق نرى تكرار الشاعر لكلمة الصبر تأكيدا وحثا على التحلي به ونوال الثواب عند التحلي به، بعد فراق الأحبة، فنجد مشاعر الأسى والحزن وصدق المشاعر إنما صداها بالتجلد والصبر ويدخل ذلك تحت راية التأسي والعزاء الذي هو مرتبة عقلية تعلو التأبين ؛ لذلك يعتمد الشاعر على الصبر وهو يرثي من ارتبط معهم بعلاقة جعلته يقول من نبع الإحساس الصادق بألم الفراق الدائم ؛ ففقد الأعزاء كربة شديدة ولشدة ألم ذلك يتنازع الصبر مع الجزع، فالإنسان حينما يفقد عزيز عليه كأنه فقد عضواً منه.

ولذا نجد الشاعر أبو الطيب المتنبي يقول يرثي عبده يماك التركي من (الطويل) [2]

لا يُحْزِنِ اللهُ الأميرَ فإنّني لآخُذُ من حَالاته بِنَصيب
وَمَن سَرّ أهْلَ الأرْضِ ثمّ بكَى أسًى بكَى بعُيُونٍ سرّهَا وَقُلُوب
وَإنّي وَإنْ كانَ الدّفينُ حَبيبَهُ حَبيبٌ إلى قَلْبي حَبيبُ حَبيبي
وَقَدْ فارَقَ النّاسَ الأحبّةُ قَبْلَنَا وَأعْيَا دَوَاءُ المَوْتِ كُلَّ طَبيب
وَلا فَضْلَ فيها للشّجاعَةِ وَالنّدَى وَصَبْرِ الفَتى لَوْلا لِقاءُ شَعُوب

---

[1] ديوان ابن الرومي ، شرح ا. أحمد حسن بسج ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط ٣سنة ٢٠٠٢ ج١/١٤٧

[2] ديوان المتنبي ، تحقيق سليم ابراهيم صادر ، الناشر المطبعة العلمية ، بيروت لبنان ط ١٩٠٠/من ص٢٦٧-٢٧٠

وَللواجِد المكْرُوبِ من زَفَراتِه سُكُونُ عَزاءٍ أوْ سُكونُ لُغُوبِ
فَدَتْكَ نُفُوسُ الحاسِدينَ فإنّها مُعَذَّبَةٌ في حَضْرَةٍ ومَغِيبِ

وهذا ابن الرومي يعزي أبا القاسم عن مولود له، يقول من (الطويل) [1]:

تعجل مولود ليمهل والد ولا بدع قد يحمي العشيرة واحدُ
لقد دافع المفقود عنك بنفسه عُراماً فلا يحزنك أنك فاقدٌ
فصبراً، فإن الصبر خير مغبة وهل من محيد عنه إن حاد حائدُ
وقد فزت إن أصبحت عبدا مسلماً لما أوجبته في في الرقاب القلائدُ

فالأبيات تظهر مدى توفيق الشاعر في اختيار ألفاظه لتعزية أبي القاسم لفقد ابنه وفقد الأبن أمر يبعث على عدم الصبر والجزع المتوقع من أي إنسان، لذا فإن تعبيرات الشاعر جاءت مناسبة لغرض العزاء والتأسي مثل (فصبراً، فإن الصبر، عزمة الله، فزت، عبدًا مسلماً).

وفي موقف الوداع الأخير يُعبِّر بهاء الدين زهير عن لوعة فراق الموت في رثاء ابنه فيقول من الوافر [2]:

نهاكَ عن الغوايةِ ما نهاكا وَذُقْتَ منَ الصّبابَةِ ما كَفاكَا
وطالَ سُرَاكَ في لَيلِ التّصَابي وقد أصبحتَ لم تحمدْ سراكا
فَلا تَجزَعْ لحادثَةِ اللّيالي وَقُل لي إن جزِعتَ فما عَساكَا
أراكَ هجرتني هجراً طويلاً وَما عَوّدْتَني منْ قَبلُ ذاكَا
عَهِدْتُكَ لا تُطيقُ الصّبرَ عني وَتَعصي في وَدادي مَنْ نَهاكَا
فكَيفَ تَغَيّرَتْ تلكَ السّجايَا وَمَن هذا الذي عني ثَنَاكَا
فلا واللهِ ما حاولتَ عذراً فكُلّ النّاسِ يُعذَرُ ما خَلاكَا
وما فارقتني طوعاً ولكنْ دَهاكَ منَ المَنيّةِ ما دَهَاكَا
لقد حكمتْ بفرقتنا الليالي ولم يكُ عن رضايَ ولا رضاكا
فليتَكَ لوْ بَقيتَ لضُعْفِ حالي وكانَ الناسُ كلهمُ فداكا
يعزّ عليّ حينَ أديرُ عيني أفتشُ في مكانكَ لا أراكا
فيا مَن قد نَوَى سَفَراً بَعيداً متى قُلْ لي رجوعُكَ من نَوَاكَا

---

[1] ديوان ابن الرومي ، شرح ا. أحمد حسن بسج ، المرجع السابق ص ٥١٨،٥١٩

[2] ديوان البهاء زهير ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، محمد طاهر الجبلاوي ، الناشر دار المعارف القاهرة ،ط ٢، ١٩٣/٢٠٠٩.

جزاكَ اللهُ عني كلّ خيرٍ وَأعْلَمُ أنّهُ عني جَزَاكَا
فيا قبرَ الحبيبِ وددتُ أنّي حملتُ ولوْ على عيني ثراكا
سقاكَ الغيثُ هتاناً وإلاّ فحسبكَ من دموعي ما سقاكا

ونراه يذكر ألفاظ معبرة عن حرقة وألم الفراق مثل : (هجراً طويلا – فارقتني – دهاك – المنية –لا أراكا – خطب – دموعي – تباكى)، وكلها ألفاظ تعبر عن وجع وألم الشاعر من جراء الفراق الطويل وليس له دواء من مثل ذاك إلا الصبر والدعاء للفقيد.

ثالثاً: الحب والوصال والبعد والهجران :

لاشك أنّ الحب هو مصدر الحياة وبه تسير وبه الجمال فيها، ولولا الحب لزادت منغصات الحياة وما تحمل الإنسان كدر الدنيا، فالحب هو الملهب لحرارة الفؤاد، وهو دواء القلوب، وأما الهجر والفراق فهما كلمتان مذاقهما مُر، وقعهما شديد على النفس، والإحساس بهما قاسٍ وقليل من لم يكتوِ بنيران ألمِهما أولم يتذوقْ مرارتهما.

و الحب والهجر من أهم دوافع الصبر الذاتية، والإنسان يبقى في موقف بعده عن أحبته إحساسه متأرجح بين الصبر والجزع مهما اختلف الزمان وتعاقبت الأيام أو تغير المكان.

" إنَّ الشعراء قد أجادوا التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم التي نشرها فيهم الحب، وما يؤدي إليه الحب من وصال أو هجر، ومن سعادة أو شقاء، ومن لذة أو ألم، وقد صوروا هذه العواطف وأفنوا في تصويرها مواهبهم وملكاتهم " ، وقد عبر الشعراء على الاستمرار على عهد الحب والصبر على ألآمه والوفاء والإخلاص للمحب وفي ذلك يقول أبو تمام من (السريع) [1]:

من أين لي صبرٌ على الهجر لو أن قلبي كان من صخر ؟
ويلٌ لجسمي من دواعي الهوى ويل معي يدخل في القبر

إن استعمال الشاعر مفردات مثل (صبر – الهجر – ويل لجسمي – دواعي الهوى–) بينت ما لدلالة الألفاظ من دور في تصوير إحساسه بالحب والهجر، فالهجر والشوق والتذكر والحب دليل ما يقاسي الشاعر ورغم ذلك كان ثباته كمحب دليل صبره وانْ كانت معاناته لا يكفيها هذا الصبر، كما نجد ملازمة الشوق والصبابة،

---

[1] ديوان ابو تمام ، تحقيق الخطيب التبريزي قدم له راجي الاسمر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط٢ ١٩٩٤

ومفارقة النوم للعيون ؛ وذلك جراء الحب والفراق الذي حرك مشاعر الشاعر تجاه من يحب، يقول أبو فراس الحمداني من (الطويل) [1]:

أبيتُ كأني للصَّبَابَةِ صَاحِبُ وللنومِ مذْ بانَ الخليطُ مجانب
وَمَا أدّعي أنّ الخُطُوبَ تُخيفُني لَقَدْ خَبَرَتْني بالفِرَاقِ النّوَاعِب
ولكنني ما زلتُ أرجو وأتقي وَجَدّ وَشيكُ البَيْنِ وَالقَلْبُ لاعِبُ
عليّ لربعِ العامرية وقفةٌ تُمِلّ عَليّ الشّوْقَ وَالدّمعُ كاتِبُ
فلا وأبي العشاقِ ما أنا عاشقٌ إذا هيَ لَمْ تَلْعَبْ بِصَبري المَلاعِبُ
ومنْ مذهبي حبُّ الديارِ لأهلها وَللنّاسِ فيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

أما قوله: للناس فيما يعشقون مذاهب فالمعنى هنا، أقرب ما يكون من المثل القائل : لولا الأذواق، لبارت السلع، فلكل إنسان هوى ووجهة نظر فيمن يحبه ويعشقه، وتختلف في هذا العشق آراؤهم من شخص إلى آخر، ويقول أيضا متعجباً كيف يمد حبيبه جيش سقامه بالهجر، فينصره من (الكامل) [2] :

بالله ربك، لم فتنت بصبره ونصرت بالهجران جيش سقامه

وفي سبيل طاعة الحب، قد استشهد الصبر والسلو يقول أبو فراس من (السريع) [3] :

من لي بكتمان هوى شادن عيني له عين على القلب
عرضت صبري وسلوي له فاستشهدا في طاعة الحب

غير أن هناك من رأى من شدة الحب والهجر وفراق المحبوب أنَّه لاعزاء ولا صبربعد فراق المحبوب ؛ وذلك من شدة وجده وشوقه وذلك في قول ابن المعتزمن (الطويل)[4]:

أَبى اللَهُ ما لِلعاشقينَ عَزاءُ وَما لِلملاحِ الغانياتِ وَفاءُ
تَرَكنَ نُفوساً نَحوَهُنَّ صَواديا مُسرّاتِ داءٍ ما لَهُنَّ دَواءُ
يَرِدنَ حِياضَ الماءِ لا يَستَطِعنَها لا وَهُنَّ إِلى بَردِ الشَرابِ ظِماءُ
وَجُنَّت بِأَطلالِ الدُجَيلِ وَمائِهِ لا وَكَم طَلَلٍ مِن خَلفِهِنَّ وَماءُ
إِذا ما دَنَت مِن مَشرَعٍ قَعقَعَت لَها عَصيٌّ وَقامَت زَأرَةٌ وَزُقاءُ
خَليلَيَّ بِاللَهِ الَّذي أَنتُما لَهُ فَما الحُبُّ إِلا أَنَّةٌ وَبُكاءُ

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني ، شرح د. خليل الدويهي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت –لبنان –ط٢ ١٩٩٤ /٤٠

[2] يوان أبو فراس الحمداني ، شرح د. خليل الدويهي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت –لبنان –ط٢ ١٩٩٤،ص٣٢٢

[3] نفسه

[4] ديوان ابن المعتز ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت – لبنان د–ت ص ٨

أما أبو فراس الحمداني يصف حال العاشق الصابر بقوله من (الطويل) [1] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر؟
نعم أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سـر
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصـبابة والفكر

يخاطب الشاعر نفسه فيرى مدى صبره على الحب والفراق، فهو مشتاق وعنده لوعة ولكنه يكتم حبه ويستعين على ذلك بشيمة الصبر والكتمان على ما بين أضلعه مما اكتوى به من نار الهوى، وقد جاء بألفاظ تؤكد مدى صبره وتجلده، و يفتخر الشاعر وإن كان عن غير قصد منه بمقدرته على الصبر الجميل الذي أخفى به علامات الشوق من دمع وسقم، ومن النادر بين معشر المحبين من صبر على الفراق وتجرع الآم الغرام.

والشاعر في التزامه الصبر ليس ضعفاً منه بل إيماناً وثقة بأنَّه لن تظل أيام الهجر والبعاد بين المحبين، فمهما أبعدتهم الأيام وتباعدت المسافات، يقوى الأمل ومع شدة المحن يزيد الصبر، فالبعد والهجر المجتمعان بقسوة يقابلهما الشاعر بالتجلد والأمل في زوالهما وتحقيق الوصال بلقاء عاجل، وبذلك يقدم الشاعر تجربته الشعورية بكل صدق، ويفخر بالشاعر بتجلده ويبعث في المتلقي روح الأمل والصبر فنراه يأتي بألفاظ مثل (عصي الدمع – شيمتك الصبر – لوعة الصبابة) وكلها ألفاظ تدل على قدرة الشاعر على التحلى بخلق الصبر، والعاشق الذي يقاسي ما يقاسيه في سبيل الحب حزناً و تسهيداً لا ييأس على الرغم مما يعانيه فهو يحتمل ألم البعد آملا في اللقاء، ويتجلد عند الفراق مترجياً للوصل، ونجد ذلك في قول ابن الزيات من (الطويل) [2]:

وَحَدَّثتُ نَفسي أَنَّني غَيرُ صابِرٍ فَها أَنا ذا لَم أَقضِ مِن إِثرِها نَحبي
خَليلَيَّ لَم أَصدُق وَكانَ سَفاهَةً رُجوعي بِحُسنِ الظَنِّ مِنها عَلى قَلبي
فَأُقسِمُ أَن لَو كُنتُ أَوَّلَ مَيِّتٍ وَآخرَ مَنشورٍ يَهُبُّ مِنَ التُّربِ
لما كانَ مِن مَوتي عَلَيها صَبابَةً قَضاء لِما اِستَرعَيتُ مِن ذِمَّةِ الحُبِّ

---

[1] . ديوان ابو فراس الحمداني ، نفس المرجع السابق ص ١٦٢

[2] ديوان محمد بن عبد الملك الزيات،المرجع السابق ٢٠٤

ويظل الصبر أفضل شيء يرتبط الشاعر به في التعبير عن مشاعره وإحساسه تجاه محبوبه الذي حال الفراق بينهما، فالحب حسرة وألم لأنه يربط مباهج الدنيا وسعادتها كلها بمخلوق واحد ألا وهو المحبوب، وبهجره يهجر ملذات الحياة، وتتحول حياته كلها إلى قلق واضطراب وحزن، لذلك كان تأثر الشعراء بالهجر والفراق محبوب أكدت صبره وتجلده.

رابعاً: الغربة والشوق للأهل والوطن :

إنَّ الارتباط بالوطن هو حب يفوق كل حب، كالارتباط بالأهل أو الأصدقاء أو المحبوب الذي يعشقه وهي رابطة قوية لا يوجد ما يساويها في الوجود، وقد أحب الشعراء العباسيين بلادهم، وتعلقوا بها وقالوا القصائد الكثيرة في وصف بلادهم والتعبير عن عاطفتهم نحوها، وبينما كان عاطفتهم صادقة تجاه الوطن وهم يعيشون فيه وينعمون بخيره، فإنَّ عاطفتهم تتأجج إذا ما أصابه سوء أو ابتعدوا عنه، والصبر هو السبيل الأصوب لتجاوز المحن، والاتعاظ بنكائب الزمن والنظر في الأحداث يخفف عن الشاعر المصاب ويعينه على التصبر، فالشوق والحنين شعور مؤلم، ولاسيما حين يقترن بزمن مضى، وفي تلك الأحوال يكون الدافع على التصبر هو الرضا بقضاء الله- عزوجل -، فلا نعيم دائم ولا أجل باق، وفي ذلك يقول أبو الطيب المتنبي من (البسيط)[1] :

بِمَ التّعَلّلُ لا أهْلٌ وَلا وَطَنُ ... وَلا نَديمٌ وَلا كأسٌ وَلا سكَنُ

أُريدُ منْ زَمَني ذا أنْ يُبَلّغَني ... مَا لَيسَ يبْلُغُهُ من نَفسِهِ الزّمَنُ

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيرَ مُكترِثٍ ... ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدنُ

فَمَا يُديمُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ ... وَلا يَرُدّ عَلَيكَ الفَائتَ الحَزَنُ

كمْ قد قُتِلتُ وكم قد متُّ عندَكُمُ ... ثمّ انتَفَضْتُ فزالَ القَبرُ وَالكَفَنُ

قد كانَ شاهَدَ دَفني قَبلَ قولهِمِ ... جَماعَةٌ ثمّ ماتُوا قبلَ مَن دَفَنوا

مَا كلُّ ما يَتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تجري الرّياحُ بمَا لا تَشتَهي السّفُنُ

رَأيتُكُم لا يَصُونُ العِرْضَ جارُكمُ ... وَلا يَدِرُّ على مَرْعاكُمُ اللّبَنُ

إنّي أُصَاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ ... وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ

وَلا أُقيمُ على مَالٍ أذِلُّ بِهِ ... وَلا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ

---

[1] ديوان ابو الطيب المتنبي ،تحقيق سليم إبراهيم صادر ، المطبعة العلمية بيروت لبنان ١٩٠٠/٤٠٣

سَهِرْتُ بَعد رَحيلي وَحشَةً لكُمُ ثمّ استَمَرّ مريري وَارْعَوَى الوَسَنُ
وَإنْ بُلِيتُ بوُدٍّ مِثْلِ وُدّكُمُ فإنّني بفراقٍ مِثْلِه قَمِنُ
أبْلَى الأجِلّةَ مُهْري عِندَ غَيرِكُمُ وَبُدِّلَ العُذْرُ بالفُسطاطِ وَالرّسَنُ
عندَ الهُمامِ أبي المِسكِ الذي غرِقَتْ في جُودِه مُضَرُ الحَمراءِ وَاليَمَنُ
وَإنْ تأخّرَ عَنّي بَعضُ مَوْعِدِه فَمَا تَأَخَّرُ آمَالي وَلا تَهِنُ
هُوَ الوَفيُّ وَلَكِنّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ

قال الواحدي : "يشكو الزمان يقول بأي شيٍ أعلّل نفسي وأنا بعيدٌ عن أهلي ووطني وليس لي مما أعلل النفس به مما ذكره.ويقول أطلب من الزمان استقامة الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه لأنه ربيع وصيف وشتاء وخريف.ويجوز أنَّ المعنى أنَّ همته أعلى من أنْ يكون في وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه ما في همته ويجوز أن يريد أنه يطالب الزمان بأن يُخْلِيهُ من الأضداد، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه فإن الليل والنهار كالمتضادين ويجوز أن يريد أني أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل في نفسه البقاء فيكون قد ألم بقول البحتري، تُنابُ النائبات إذا تَناهتْ، ويَدْمُرُ في تَصَرفِهِ الدَمارُ، ويقول الشاعر ما دمتَ حيّاً فلا تبالِ بالزمان وصروفه فإنها تزول ولا تبقى والذي لا عوض منه إذا فات هو الروح فقطْ، ويقول : وهذا تأكيدُ للذي قبله لا تبال بما يحدثه لك الدهر فإن المفروح به لا يدوم فرحه لأنه لا يدوم والحزن على الغائب لا يرده عليك، ويظل الشاعر متحليا بالصبر على غربته وحنينه حتى يقول : أحلُم عمن يؤذيني ما دام حلمي كرماً، فإذا كان حلمي جبناً لم أحلم كما قال الفند الزماني : وبعض الحِلم عند الجهلَ للذّلّة إذْعانُ[1]. "

ويقول في أخرى وقد غالب الشوق صبره وتصارعا إلا إنَّ الشوق قد غلبه في ذاك الموقف الذي يحن فيه إلى المحبوب يقول المتنبي من (الكامل)[2]:

أَجِدُ الجَفَاءَ عَلى سِواكَ مُروءَةً وَالصَبرَ إلّا في نَواكَ جَميلا
وَأَرى تَدَلُّلَكَ الكَثيرَ مُحَبَّباً وَأَرى قَليلَ تَدَلُّلٍ مَملولا

١شرح الواحدي ، الواحدي ، تحقيق د ياسين الأيوبي ، د قصي الحسين ،الناشر مطبعة دار الرائد العربي ، بيروت –لبنان ط١، م١ /١٩٩٩/٧٩٤

٢ديوان ابو الطيب المتنبي ،المرجع السابق ص١٢١

"أراد بالجفاء النُبُوّ والامتناع ولذلك وصله بعلى يقول الامتناع من النساء مروّة عندي إلا منك والصبر جميل إلا في بُعدك، يقول: تشكو المطيّةُ التي ركبتْها ثقلَ ردْفها وعجْزها عن حملها، كما تشكو النّفْس التي يدخلها عشقك" [1].ومادام بالأضاد تعرف الاشياء ويستبين مرادها فقد جمع الشاعر في أبياته مجموعة من الأضاد مثل (الكثير / قليل – محببا / مملولا –) ليبين مدى شوقه وحنينه .ويقول : وقد فضح الدمع وصوت البكاء صبره على الشوق والحنين للمحبوب الا انه مازال متحليا بالصبر حتى وان غلبه الدمع يقول من (الكامل) [2]:

بَاد هَوَاكَ صَبَرْتَ أمْ لم تَصْبِرَا وَبُكاكَ إن لم يَجْرِ دمعُكَ أو جَرَى
كمْ غَرّ صَبرُكَ وَابتسامُكَ صَاحِباً لمّا رَآهُ وَفِي الحَشَا مَا لا يُرَى
أمَرَ الفُؤادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخبِرَا

ويخاطب نفسه يقول ابتسامك الظاهر يغرّ الناظر إليك لأنه يرى ضحكاً ظاهراً ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد، وهذا يدل على تحليه بالصبر وكتمان لهيب الشوق والحنين مهما ظهر وبدا عليه أمارات الهوى.

أما عند البحتري فنجد أن لوعة الهجر قد حاولت زحزحته عن التحلي بالصبر يقول من (الطويل) [3]:

لَدُن هَجَرَتهُ زَحزَحَتهُ عَنِ الصَبرِ سَواءٌ عَلَيهِ المَوتُ أَو لَوعَةُ الهَجرِ
إِلَيكَ عَنِ الصَبِّ الَّذي بَرَّحَت بِهِ صُروفُ هَوىً لَو كُنَّ في الماءِ لَم يَجِرِ
وَقائِلَةٍ وَالدَمعُ يَصبُغُ خَدَّها رُوَيدَكَ يا بنَ الستِّ عَشرَةَ كَم تَسري
فَقُلتُ أَحَقُّ الناسِ بِالعَزمِ وَالسُرى طِلابُ المَعالي صاحِبُ الستِّ وَالعَشرِ

وفي الحنين للوطن يقول ابن الجهم من (الطويل) [4]:

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري
أَعَدنَ لِيَ الشَوقَ القَديمَ وَلَم أَكُن سَلَوتُ وَلَكِن زِدنَ جَمراً عَلى جَمرِ
سَلَمنَ وَأَسلَمنَ القُلوبَ كَأَنَّما تُشَكُّ بِأَطرافِ المُثَقَّفَةِ السُمرِ
وَقُلنَ لَنا نَحنُ الأَهِلَّةُ إِنَّما تُضيءُ لِمَن يَسري بِلَيلٍ وَلا تَقري

---

[1] شرح الواحدي ،، المرجع السابق ، ٦٧٢

[2] ديوان ابو الطيب المتنبي ،المرجع السابق ص٤٤٥

[3] ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصرفي ، الناشر دار المعارف ط٣ ،د.ت /ص٤٢٥

[4] ديوان علي بن الجهم المرجع السابق ص١٤١

فَلا بَذلَ إلّا ما تَزَوَّدَ ناظِرٌ وَلا وَصلَ إلّا بِالخَيالِ الَّذي يَسري
أحينَ أزحنَ القَلبَ عَن مُستَقَرِّهِ وَأَلهَبنَ ما بَينَ الجَوانِحِ وَالصَدرِ
صددنَ صدودَ الشاربِ الخمر عندما روى نفسَهُ عن شربها خيفةَ السكرِ

وفي محبة الوطن والذود عنه يقول ابن الرومي قصيدته الجليلة مطلعها من (الطويل)[1]:

ولي وطن أليت ألا أبيعه وأن لا يرى غيري له الدهر مالكا

ويعود ابن الرومي ليوضح حنينه وهو أيضا يصارع بصبره الخطوب والمصائب ولكن فراق الأحبة والحنين إليهم يجعل الصبر يخونه بضغفه أمام تلك الخطوب يقول من (الخفيف) [2]:

خَانَكَ الصَّبرُ يَومَ قِيلَ الرحيلَ إنّ خَطبَ الفِراقِ خطبٌ جليلُ
وَتَزوّدتَ مِن سُليماك زاداً فيه لِلطَّالبِ الشِفاءَ غَليلُ

أما ابن المعتز فطول الفراق وقسوته كشف مدى صبره وأبانه وأفصح عنه يقول من (الكامل) [3] :

طالَ الفراقُ، فبانَ عنهُ صبرهُ، وَ قَسا عليه، فليسَ يَرحَمُ دَهرهُ
و اللهِ ما خانتكَ سلوةُ عينيه، وفؤادُهُ يَهوى سواكَ يَسُرُّهُ
عُذِرَ القَتيلُ بحُبّها، لكنّ مَن قد عاشَ بعدَ فراقها ما عذره
و يقولُ لم أهجرْ، بلى، إذ بنتمُ، أوَلَيسَ يُشبِهُ بينَ صَبٍّ هجرُه

وفي قصيدة أخرى زادت قسوة الفراق وطول الليالى وأخذه الحنين إلى المحبوب وقد صبر صبرا ليس بعده صبر حتى أنَّ ليله طال فما له فجر جراء حنينه وغربته عن معشوقته يقول (البسيط) [4]:

يَاربُ مَا لي صَبرٌ وَلَا لِلَيلي فَجرُ
وَحَشُو قَلْبِي جَمرٌ طَالَ فَمَا يَقرُ
أَفْسَد دِينِي بَدرٌ فِي الطَّرفِ مِنْهُ سِحرُ

١ديوان ابن الرومي ، المرجع السابق ص١٤

٢ديوان ابن الرومي ، المرجع السابق ص١٧١

٣ديوان ابن المعتز ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر بيروت لبنان ،د–ط ،ص٢١٧

٤نفسه ص ٢١٠

أما ابن الجهم بعد خروجه من محبسه، وهو الذي تكاد ما تخلو قصائده من التحلـــى بالصبر فإن اشتياقه وحنينه عند غياب الوطن؛ إنما كان لوطن أحبابه بعد وفـــاتهم؛ فقـــد صارت القبور موطنهم وفي هذا يقول(البسيط)[1]:

يَشتاقُ كُلُّ غَريب عندَ غُربَتِه وَيَذكُرُ الأَهلَ وَالجيرانَ وَالوَطَنا
وَلَيسَ لي وَطَنٌ أَمسَيتُ أَذكُرُهُ إِلّا المَقابِرَ إِذ صارَت لَهُم وَطَنا

١ديوان علي ابن الجهم المرجع السابق ص١٨٤

الخاتمة ونتائج البحث :

وختاماً وبعد البحث الطويل وما به من جهد ومعاناة استعنت عليهما بالصبر، انتهى البحث في حدود دراسته على وفق الخطة التي وضعت له، ولقد تناولت دوافع شعر الصبر وبواعثه في العصر العباسي، ولأن الشعر هو وليد تجربة شعرية ومعاناة ومعايشة، فيكون ذلك مثيرا وباعثا لقول الشعر أولا، ولجعله متفاعلا مع المتلقي على اختلاف العصور ثانياً.

وبعد الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية :

(١ إنّ ظهور شعر الصبر في العصر العباسي كان انعكاسا لتأثر الشعراء بتجربة شعرية عاشوها أو عبَّروا عمن عاشوها.

(٢ إنَّ الصبر ظاهرة لازمت الشاعر العباسي .

(٣ كثرة استعمال مفردة الصبر ومسمياته عند شعراء الصبر في العصر العباسي في حين كان حضور لفظة الجزع قليلة.

٤)تعددت بواعث شعر الصبر وتنوعت دوافعه التي تبخر عنها شعراً وفيراً معبراً عن الواقع المعيش ما بين الدوافع **السياسية** مثل : الظلم والاستبداد وزيادة الضرائب على العامة من الشعب وزيادة الفتن والثورات، واتباع سياسة التمييز وعدم المساواة بين العرب والعجم، وضعف الخلفاء وانقسام الدولة وزحف التتار كل ذلك أفرز العديد من أشعار الصبر الناتج عن تجارب شعرية للشعراء أو معبرين عن فئات المجتمع .

وأما الدوافع الاقتصادية مثل : زيادة الأزمات المالية، وفرض ضرائب على الشعوب وتدهور الأوضاع وقلة الموارد،والاضطرار لسياسة الاقتراض، كل ذلك كان مدعاة لإفراز شعر الصبر؛ وذلك لأن الشعراء هم البوق المعبر في ذلك العصر .

وأما الدوافع الاجتماعية فكان منها : تنوع الحياة الاجتماعية ما بين خاصة وعامة وفقراء وأغنياء ونساك ولاهين، وامتزاج العرب بالأجناس الأخرى،وتفشي الانحلال الخلقي، وظهور الصراعات المذهبية كل هذه الدوافع كان لها صداها في انبعاث شعر الصبر .

وأما الدوافع الذاتية، فكان منها الوازع الديني أقوى بواعثه، في حين تصبر الشاعر على فراق أحبته أو فقدهم كما عبر الشاعر العباسي عن مشاعر الحنين عند غربته .

المصادر والمراجع:

١- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة ط٢، ج١١ بتصرف.

٢- والكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٧، ٨، ٩، ١٠ بتصرف.

٣- وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د.شوقي ضيف بتصرف.

٤- ديوان علي بن الجهم، ط وزارة المعارف – المملكة العربية السعودية د- ت .

٥- ديوان محمد بن أدريس الشافعي، تحقيق محمد ابراهيم سليم، الناشر ابن سينا-القاهرة ت- د.

٦- ديوان أبو العتاهية،(مجموعة ديوان العرب)،تقديم كرم البستاني، الناشر دار بيروت – بيروت لبنان،ى ط ١٩٨٦ .

٧- ديوان محمد بن عبد الملك الزيات، تحقيق د.جميل سعيد، الناشر المجمع الثقافي أبو ظبي – الأمارات، ط ١٩٩٠.

٨- ديوان ابن الرومي، شرح ا.أحمد حسن بسج، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ٣سنة ٢٠٠٢ ج١.

٩- ديوان المتنبي، تحقيق سليم ابراهيم صادر، الناشر المطبعة العلمية، بيروت لبنان ط ١٩٠٠.

١٠-ديوان البهاء زهير، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، محمد طاهر الجبلاوي، الناشر دار المعارف القاهرة،ط ٢، ٢٠٠٩.

١١-ديوان ابو تمام، تحقيق الخطيب التبريزي قدم له راجي الاسمر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط٢ ١٩٩٤.

١٢-ديوان أبو فراس الحمداني، شرح د.خليل الدويهي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان –ط٢ ١٩٩٤ .

١٣-ديوان ابن المعتز، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت – لبنان د-ت .

١٤-شرح الواحدي، الواحدي، تحقيق،د ياسين الأيوبي، د قصي الحسين، الناشر مطبعة دار الرائد العربي، بيروت –لبنان ط١، م١ /٧٩٤/ ١٩٩٩.

١٥-ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصرفي، الناشر دار المعارف ط٣، د.ت .